الحسن بن أحمد بن عبدالله المعروف بابن البناء (ت471هـ/1078م) وكتابه (التاريخ)

عبدالهادي نايف علي القعايدة *

ملخص

تحاول هذه الدراسة التعرّف إلى مؤرخ عاصر سيطرة السلاجقة على العراق، وأرّخ لها، من حيث: نشأته، وأسرته، وأهميّة كتابه لتأريخ بغداد في العهد السلجوقي، إضافة إلى الوقوف على الموجود من كتابه المفقود في المصادر المعاصرة له، أو اللاحقة عليه، وبيان منهجه، وموارده، وموقفه من الخلافة العباسية والدولة السلجوقية من خلال المتوفر من الكتاب ذاته.

الكلمات الدالة: بغداد، السلاجقة، تأريخ التاريخ.

المقدمــة

شهد النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ العاشر الميلادي، ظهور العديد من التواريخ ذات الطابع المحلي، التي كان لبغداد منها نصيب وافر، تناولت مفاصل الحياة بكل مفرداتها، سواء من الناحية السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو الإدارية، ويأتي في طليعة هذه المؤلفات كتاب (عيون التواريخ) لغرس النعمة محمد بن هلال الصابئ (ت480هـ/1087م)، الذي ينفرد بأنه سليل أسرة إدارية عُنيت بالتاريخ ضمن تيار الإداريين الذين كتبوا التاريخ (ابن الجوزي، 1984: ابن العديم، 1988: مصطفى، 1979: عقله، 2003)، ومؤلفات الهمذاني محمد بن عبدالملك، (ت521هـ/1127م)، التي وصلت إلينا بعض موادها من خلال ورد عنها في بعض المصادر اللاحقة، أحد فقهاء الشافعية، مؤرخ محترف لمهنة التاريخ، جاء كتابه ضمن اهتمامات تيار المؤرخين في ذلك الوقت، التي وصلت إلينا بعض مواد كتبه المفقودة من خلال ما ورد عنها في عدد من المصادر (عقله، 2003)، أمّا ابن البناء؛ فهو محدّثاً وفقيهاً حنبليّاً، صدوقاً، ألف كتاباً في التاريخ، فُقِدت أغلب أجزائه حُقق المتوفّر منه جورج مقدسي ثم نشره (عقله، 2003)، تناول فيه أخبار سنتي460–461هـ/1067–1068م، اللتين تحدث فيهما عن بغداد في العهد السلجوقي، ومفاصل الحياة العامة فيها، مع التركيز على الحنابلة وعلمائهم وأخبارهم، والإشادة بسجاياهم ومناقبهم، علماً أن هذا الفقد والضياع الذي طال كتاب التاريخ لابن البناء، مشكلة عانى منها التراث العربي الإسلامي، إذ ضاع العديد من المؤلفات، في شتى حقول العلم والمعرفة، التي تغطي فترات متنوّعة وحقب زمنية متعددة، وصلت إلينا معلومات عن بعضها من خلال كتب الفهارس، التي أشارت إلى عناوينها وأسماء مؤلفيها، بينما ورد من بعضها الآخر نصوص في المصادر المعاصرة أو اللاحقة لها، رسمت صورة سطحية لنوعية هذه الكتب ومحتواها، مما فتح المجال أمام الباحثين للبحث عن هذه المؤلفات على أمل العثور عليها؛ بُغْيَةَ إماطة اللثام عن محتواها، والإفادة منها وتصنيفها من حيث الأهمية والفائدة، إذ إنّ أمر هذه المؤلفات المفقودة يبقى معقوداً على أهميتها المرهونة بالعثور عليها، ودراستها وتحليلها؛ لبيان ما تكتنفه بين ثناياها من معلومات لا تزال مجهولة بالنسبة إلى الباحثين.

نسبه ونشأته

هو الحسن بن أحمد بن عبدالله بن البناء البغدادي المقرئ الحنبلي المُكنّى بأبي علي، ولد سنة 396هـ/1006م بمدينة بغداد في أسرة صمتت المصادر عن بيان أحوالها، إلا أن سماعه المُبَكّر على الشيوخ يدل على اهتمام تلك الأسرة وتحديداً والده في العلوم الدينية، ما انعكس أثره إيجاباً على أبي علي (الصفدي، 1991، الذهبي، 1992، الذهبي، 2011، الحنبلي، 1951، العسقلاني، 2002، إبراهيم، 1990).

بدأ ابن البناء تلقي العلم على يد شيوخ بغداد في فترة مُبّكرة

* قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2016/08/10، وتاريخ قبوله 2016/09/22.

© 2018 عمادة البحث العلمي وضمان الجودة/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

من عمره فيما يظهر لاهتمام والده بتعليمه؛ فقد درس علم الحديث على يد مجموعة من الشيوخ أبرزهم: أبو الفضل التميمي (ت 410هـ/1019م)، وأبو الفتح بن أبي الفوارس (ت 412هـ/1021م)، وأبو الحسن بن زَرقَويه (ت 412هـ/1021م)، وهلال الحفّار (ت 414هـ/1023م) وأبو الحسن بن بُشران (ت 415هـ/1024م)، والحسن بن شِهاب العُكبري (ت428هـ/1037م) وأبو القاسم بن بُشران (ت430هـ/1039م)، وغيرهم خلق كثير كما أوردت مصادر ترجمته من غيرذكر أسمائهم (الصفدي، 1991، الذهبي، 1992، الحنبلي، 1951، والعسقلاني، 2002، إبراهيم، 1990).

وقرأ القران الكريم بقراءاته السبع على أبي الحسن علي بن أحمد الحمّامي (ت417هـ/1026م) مقرئ أهل بغداد، ومحدثهم في عصره، وتلا عليه القراءات السبع بالروايات (الذهبي، 1992، الحنبلي)، وقرأ القران الكريم على غيره من المقرئين في بغداد. وتفقه على كبار فقهاء الحنابلة في عصره وأولهم: أبو طاهر الغباري (ت 432هـ/1041م)، وهو أول فقيه تتلمذ عليه، ثم تفقه على القاضي أبي يعلى بن الفرّاء (ت 458هـ/1066م) شيخ الحنابلة، وكبيرهم وفقيههم في زمانه، وكان ابن البناء من قدماء تلاميذه، حيث درس عليه المذهب الحنبلي والخلاف، وتتلمذ في الفقه أيضاً على الشريف أبي علي بن أبي موسى الهاشمي (ت428هـ/1037م) أحد كبار الحنابلة، والشريف العباسي في زمانه، وغيرهم من فقهاء الحنابلة في عصره (الصفدي، 1991، الذهبي، 1992، الحنبلي، 1951).

بناءً على ما سلف، وبتتبّع شيوخه والعلوم التي درسها، ومن خلال مصادر ترجمته وأسماء مصنفاته، يمكن القول إن ابن البناء درس أهم العلوم الدينية والعلوم المساعدة لها المعروفة في عصره، فدرس؛ القرآن بقراءاته السبع، والحديث، والفقه الحنبلي، وأصول الدين، واللغة (الصفدي، 1991، الذهبي، 1992، الحنبلي، 1951)، وهي العلوم التي مكنتّه من تبوّء مكانة سامقة بين علماء عصره، خاصة ضمن الجماعة الحنبلية البغدادية التي أصبح أحد زعمائها الكبار.

ولمّا كانت المعلومات التي قدمتها المصادر عن أسرته (والده– ووالدته) محدودة، بل قليلة جدّاً فإن توجهه نحو العلوم الحديثية والفقه الحنبلي يدل على توجهات والده الحنبلية، إضافة إلى إشارته في اليوميات إلى منام رأى فيه ابنُهُ أبو نصر والدَهُ أحمد يدل على اهتمام والد ابن البناء بالعلوم الدينية؛ حيث نصّ الحفيد على أنّه قرأ على جَدّه (Al – Banna، 1965).

أمّا عن أسرته الشخصية، فهناك معلومات جيدة عنها، إذ تزوج ابن البناء ابنة علي بن الحسن القرميسيني (ت460هـ/1068م)، وهو؛ أحد علماء الحنابلة في بغداد، التي ولدت له أبا نصر محمد بن الحسن بن البناء أكبر أولاده المعروفين، المولود سنة 434هـ/1043م؛ ما يوحي أنّ زواجه من ابنة القرميسيني كان في حدود سنة 433هـ/1042م أو قبلها بقليل، كما تزوج ابن البناء غيرها من النساء، وهو بيّن جلي كون ولده يحيى ليس شقيقا لابنه محمد الأكبر (الحنبلي، 1951).

وذكرت المصادر التي ترجمت له من الأولاد الذكور، ولم تذكر غيرهم سواء من الذكور أم الإناث، وأكبرهم محمد، الذي تفقه على والده وغيره من علماء الحنابلة، ووصِفَ بأنه من أهل الدين، والصدق، والعلم، والمعرفة، وخَلَفَ والده في حلقته العلمية بجامع القصر في بغداد، وحلقته بجامع المنصور فيها أيضاً، وتوفي في سنة 510هـ/1116م (الحنبلي)، ثم يحيى المولود سنة 453هـ/1061م، وهو محدّث روى عن والده، وغيره من العلماء، ووصف أيضاً بالصلاح وحُسن السيرة، وتوفي سنة 531هـ/1136م (الحنبلي، 1951)، ثم أحمد المكنى بأبي غالب، وروى عن والده أيضاً (الحنبلي، 1951).

مكانته

اشتُهر ابن البناء بأنه فقيه ومحدّث، ومن المشار إليهم في القراءات واللغة (الحموي، 1999)، كرّس حياته لطلب العلم وتدريسه، فلم يتسلّم أي منصب في الدولة العباسية كعادة الحنابلة، لكنه تميز بوجود حلقتين له للفتوى وقراءة الحديث بجامع القصر، وحلقة بجامع المنصور للوعظ (الحموي، 1999، الذهبي، 2011، الذهبي، 1992، الحنبلي، 1951)، وعمل إلى جانب هذا مؤدّباً لبني جردة (الذهبي، 1992، 2011)، ولعل هذا يكشف سر العلاقة القائمة بينه وبين ابن جردة التاجر الذي أورد له عدداً من الأخبار من (ابن البناء، 1965)، كما تتلمذ على يديه عدد من المحدثين، منهم:–

1) إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي، قال عنه ابن عساكر: ((كان ثقة مكثراً، صاحب أصول)) (ت536هـ/1141م) (الذهبي، 2011).

2) شجاع بن فارس بن الحسين بن فارس بن الحسين بن غريب: نسخ العديد من مصنفات الحديث والتفسير والفقه والقانون، وكان ثقة (ت507هـ/1113م) (الصفدي، 2000).

3) أحمد بن ظفر بن أحمد البغدادي المغازلي، شيخ صالح اشتغل بكسبه، قال السمعاني: ((سمعت منه جزءاً))، (ت521هـ/1127م) (الذهبي، 2011).

وعلى الرغم من تحصيل ابن البناء العلمي الجيد، والمكانة

العالية التي تبوّأها في الفقه والحديث والقراءات، فإن هناك من اتهمه بالتصحيف؛ حيث قال ابن النجار: ((... وتصانيفه تدل على قلة فهمه، كان يُصحّف، وكان قليل التحصيل، أقرأ، وحدّث، ودرّس، وأفتى، وشرح (الإيضاح) لأبي علي الفارسي، وإذا نظرت في كلامه بان لك سوءُ تصرّفهِ، ورأيتُ له ترتيباً في (الغريب) لأبي عُبيد، قد خَبَطَ، وصّحف))(الذهبي، 2011، 1992)، واتهمه السمعاني أيضاً إذ قال: ((سمعتُ أبا القاسم ابن السمرقندي يقولُ: كان واحدٌ من أصحاب الحديث اسمه الحسن بن أحمد بن عبدالله النيسابوري، وكان قد سمع الكثير، وكان ابن البناءَ يُكشِطُ من التسميع بُورِي، ويمدّ السِّين، وقد صار الحسن بن أحمد بن عبدالله بن البناء، قال: كذا قيل: أنه كان يفعلُ))(الصفدي، 1991).

وجاء الرد على هذه التهمة التي وجهت له على لسان ابن الجوزي، الذي تصدّى للدفاع عنه، قائلاً: ((.... وهذا القول بعيدٌ عن الصحة، لثلاثة أوجه؛ أحدها أنه قال: (كذا)، ولم يحكِ عن علمه بذلك، فلا يثبت هذا، والثاني أنّ الرجل مكثرٌ ولا يحتاج إلى الاستزادة لما يسمع، ومتديّنٌ ولا يَحسُن أن يُظنُ بالمتدين الكذب، والثالث أنه قد اشتهرت كثرة رواية أبي علي بن البناء، فأين هذا الرجل الذي يقال له الحسن بن أحمد بن عبدالله النيسابوري، ومن ذكره؟ ومن يعرفه؟ ومعلومٌ أنّ من اشتهر سماعُهُ لا يخفى)) (الحموي، 1999، الحنبلي، 1951 الصفدي، 1991، العسقلاني، 2002).

وعليه، فقد فنّد ابن الجوزي هذه التهمة، وبيّن وجوه رفضها، بِعَدَّ ابن السمرقندي لم يوضح المصدر الذي استقى منه روايته، فضلاً لما لديه من حصيلة معرفية جيدة، ولا يحتاج إلى الزيادة فيما يسمع، إضافة إلى أنه على درجة من التدين تنفي عنه الكذب، وشهرته أكبر من أن تقارن بالحسن بن أحمد بن عبدالله النيسابوري الذي لا يُعرَف من هو.

مصنّفاته

امتاز ابن البناء بغزارة التصنيف في علوم متعددة انعكاساً لثقافته الواسعة؛ لذا وصِفَ من قبل العديد من الذين ترجموا له بـ: صاحب التصانيف (ابن الأثير، 1966، الذهبي، 1992 الحنبلي، 1951، إبراهيم، 1990)، الذي صَنَّفَ في علوم شتى (الفرا: ابن الجوزي، 1992: الحموي، 1999، القفطي، 1950).

وأحصى بعض المترجمين له عدداً من مصنفاته، فبلغت مئة وخمسين مصنفاً (ابن الجوزي، 1992، الحموي، 1999 الصفدي، 1991، القفطي، 1950، الحنبلي، 1951، إبراهيم، 1990)، في حين أكد ابن رجب وتابعه ابن برهان الدين إبراهيم أنّ عدد مصنفاته بلغ ثلاثمائة مجموع (الحنبلي، 1951 إبراهيم، 1990).

ولعل الرقم الأول أدق كونه ورد عند مؤرّخين أكثر قربًا زمانيًّا من ابن البناء، ومن أهل بغداد، بينما ورد الرقم الآخر عند مؤرّخين حنابلة متأخرين جداً، ومن بلاد الشام.

أمّا مؤلفاته، فأُحصيت بعد الجهد والتتبع مجموعة منها في علوم مختلفة، هي (الحنبلي، 1951):

1- شرح الخرقي في الفقه (إبراهيم، 1990).
2- الكامل في الفقه.
3- الكافي المحدد في شرح المجرّد.
4- الخصال والأقسام (البغدادي، 1982).
5- نزهة الطالب في تجريد المذاهب (البغدادي، 1982).
6- آداب العالم والمتعلّم.
7- شرح كتاب الكرماني في التعبير.
8- شرح قصيدة ابن أبي داؤود في السنة.
9- المنامات المرئية للإمام أحمد.
10- أخبار الأولياء والعبّاد بمكة.
11- صفة العبّاد في التهجّد والأوراد.
12- المعاملات والصبر على المنازلات.
13- الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت (ابن رجب، مقدسي، 1965، القسطنطيني، خليفة، البغدادي، 1982).
14- سلوة الحزين عند شدة الأنين (البغدادي، 1982).
15- طبقات الفقهاء وأصحاب الأئمة الخمسة (خليفة، 1941، البغدادي، 1982، مقدسي، 1965، الحنبلي، 1951).
16- التاريخ، وهو المسمّى اليوميات وستقف عليه الدراسة لاحقًا على نحوٍ منفرد.
17- مشيخة الشيوخ (ابن النجار، 1997).
18- فضائل شعبان.
19- كتاب اللباس.
20- مناقب الإمام أحمد.
21- أخبار القاضي أبي يعلى.
22- شرف أصحاب الحديث.
23- ثناء أحمد على الشافعي وثناء الشافعي على أحمد وفضائل الشافعي.
24- كتاب الزكاة وعقاب من فرّط فيها.
25- المنصول في كتاب الله.
26- شرح الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي (الحموي، 1999، الصفدي، 1991، خليفة، 1941، البغدادي، 1982).

27. مختصر غريب الحديث لأبي عبيد، مُرَتَّب على حروف المعجم.
28. بيان الفرق المبتدعين وانقسامهم في ذلك على الاثنتين والسبعين (ابن المستوفي، 1980).
29. الوجوه والنظائر (خليفة، 1941).
30. بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القُرّاء، وإيضاح الأدوات التي بُنيَ عليها الإقراء (قدوري أحم، 1987).
31. التجريد في التجويد.
32. آداب العزاء وصفة الإقراء (ابن البناء، 1965).

العوامل المؤثرة في شخصية ابن البناء

لعل معرفة العوامل المؤثرة في شخصية مُصَنِّف تُعَدُّ مفتاح معرفة مدى حياده، وفهم العديد من مواقفه وتفسيراته في كتابه، وابن البناء مثل غيره من المصنفين، أدت مجموعة من العوامل دورها في تشكيل شخصيته وتحديد مواقفه تجاه قضاياه المختلفة، إذ تأثر بنشأته الحنبلية فكانت المرجعية التي بنى من خلالها مواقفه وآرائه وحكمه على الأحداث التي عاشها بوصفه قد تبّوأ مكانة في قيادة الجماعة الحنبلية في بغداد، وقد انعكس ذلك على نوعية المادة وطريقة عرضه لها، ممّا يتّضح في كتابه ويمكن معه تعرّف إلى موقفه ورأيه في كل من الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية.

كتاب التاريخ لابن البناء:

لم يذكر أحد ممن ترجم لابن البناء اسم كتابه صراحةً، وإنما اكتفوا بالإشارة إلى شخصيته والنقل عنه بطرائق متعددة، مثل: ابن الجوزي الذي نقل عنه بصيغة: ((قال المُصَنِّف، وقرأتُ بخط أبي علي بن البناء قال: ((اجتمع الأصحاب وجماعة الفقهاء وأعيان أصحاب الحديث في يوم السبت النصف من جمادى الأولى في سنة ستين بالديوان العزيز، وسألوا إخراج الاعتقاد القادري وقراءته)) (ابن الجوزي، 1992)، و((قرأت بخط أبي علي بن البناء قال: جاءت رقعة بخط الشريف أبي جعفر ووصيته إلى الشيخ أبي عبدالله بن جردة (ت476هـ/1083م)، فكتبها، وهذه نسختها: مالي يشهد الله سوى الدلو والحبل أو شيء يخفى عليّ لا قدر الله، والشيخ أبو عبدالله لئن رعاكم بعدي وإلا فالله لكم، قال الله عزوجل: ((وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله)) (سورة النساء، الآية9)، ومذهبي الكتاب والسنة وإجماع الأمة وما عليه مالك وأحمد والشافعي وغيرهم، ممن يكثر ذكرهم، والصلاة إن سهل ذلك عليهم ولا يقعد لي عزاء، ولا يشق عليّ جيب، ولا يُلطم عليّ خد، فمن فعل ذلك فالله حسيب...)) (ابن الجوزي، 1992).

وابن النجار الذي نقل عنه بصيغة: ((قرأت في كتاب أبي علي بن البناء بخطه، قال: أبو الحسن علي بن الحسن بن أحمد المقرئ مات ليلة الخميس، ودفن يوم الخميس 13 رجب 424هـ، وحدّث باليسير، وكان صالحا يكتب له الغزال، وسمعت منه كثيرا)) (ابن النجار، 1997)، وقال:

((قرأتُ بخط أبي علي بن البناء، ولِدَ أبو القاسم عُبيد بن محمد بن الحسين بن الفراء في ليلة الأحد لثمان خلون من شعبان سنة 443هـ)) (ابن النجار، 1997)، وقال:

((قرأت في كتاب أبي علي بن البناء بخطه قال: وِلِدَ أبو الحسين عبدالملك بن رضوان في ليلة الاثنين الثاني عشر من رجب سنة 444هـ)) (ابن النجار، 1997).

((قال أبو علي بن البناء في تأريخه: سنة 463هـ في يوم الاثنين النصف من جمادى الآخر مات الزجّاج من أصحابنا بباب البصرة، ودُفِن بباب ((عبدالوهاب بن منصور)) (ابن النجار، 1997)، وقال:

((قرأت في كتاب أبي علي بن البناء، قال: يوم الأربعاء لسبع بقين فيه يعني شهر ربيع الأول، 465هـ، سمعت أنّ الفرس كبا بابن الفضل الكاتب الذي يسمع معنا الحديث، ويلقب بابن صربعر فدُقت عنقه، وكان قد ظلم أهل شهرابان، وسعى بهم، وكان يقول الشعر وخلط في دينه)) (ابن النجار، 1997)، وقال:

((قرات بخط أبي علي بن البناء، قال: مات الأعلم الناسخ الحنبلي (علي بن الحسين) في صفر سنة إحدى وستين وأربعمائة، وورد في نسخة أخرى في النصف من شعبان)) (ابن النجار، 1997).

ونقل عنه ابن رجب الحنبلي بصيغة: ((عبدالله بن توبة العكبري (461هـ)، الأديب الكاتب، ذكره ابن البناء في تاريخه وقال: هو صاحب الخط والأدب)) (الحنبلي، 1951).

وأشار إلى الكتاب من المؤرّخين المحدثين بروكلمان، الذي قال: ((... تعليقات بحوادث عصرهِ في بغداد وغيرها)) (بروكلمان، 1983)، وجورج مقدسي في مقدمته لتحقيق بقايا كتابه' وسمّاه (يوميات)، وكذلك شاكر مصطفى الذي قال: ((... وقد كتب تاريخ ابن البناء وطبقات الحنابلة، وكلا الكتابين ضائع، غير أن له تعليقات أشبه بالمذكرات اليومية، تشمل فترة قصيرة بين سنة 416– 463هـ، مخطوطتها بالظاهرية بدمشق وقد طُبِعت)) (مصطفى، 1979).

فقد اتفق شاكر مصطفى مع قول ابن النجار في أن ابن البناء قد ألّف كتاباً في التاريخ سمّاه (التاريخ)، لكنه مفقود، ثم انفرد عن ابن النجار بقولهِ انه مذكرات يومية تغطي فترة زمنية قصيرة، وسانده في هذا الرأي بروكلمان، لكنهما؛ أي شاكر

مصطفى، وبروكلمان، لم يشيرا إلى وجود أي صلة بين كتاب التاريخ لابن البناء، والمذكرات اليومية، وكأنهما يشيران إلى كتابين، وهما في الواقع كتاب واحد، ما يؤكد اطلاعهم على نسخة بخط ابن البناء، ومن ثَمَّ يتبين أن نسخة الكتاب بقيت معروفة ومشهورة حتى نهاية القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، واطلع عليها المؤرّخون بنسخة بخط المؤلّف نفسه، وبعدها لا نجد إشارة للنسخة حتى ظهرت بقاياها في المكتبة الظاهرية بدمشق، وهي ناقصة.

يُستخلص ممّا سبق أن ابن البناء قد ألّف كتابًا في التاريخ اسمه (ابن البناء، 1965)، استناداً لما أورده ابن النجار، وشاكر مصطفى، اللذان ذكرا صراحةً اسم الكتاب، خاصةً أنّ ابن النجار قد نقل عنه وذكر ذلك في روايته.

الموجود من تاريخ ابن البناء:

يُعَدُّ تاريخ ابن البناء من الكتب المفقودة في تراثنا العربي الإسلامي حاليًا، لكن قطعة صغيرة منه نجت، نشرها جورج مقدسي، احتوت على معلومات متنوعة سواء في الجانب السياسي، أو الجانب الإداري، أو الجانب الاقتصادي، ففي المجال السياسي والإداري أورد ابن البناء أخبارًا تتعلق بدخول السلطان ألب أرسلان بغداد (ابن البناء، 1965)، وَعَزْل الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422–467هـ/1030–1075م) للوزير ابن جهير من الوزارة، وإخراجه إلى حلّة ابن مزيد، وتحدث عن عودة الوزير ابن جهير إلى الوزارة، ومراسم تعيين الوزراء (بن البناء، 1965)، وذكر أعمال الشحِنة، ودورهم وبعض الواجبات التي قاموا بها (ابن البناء)، وذكر أسماء بعض من تولّوا هذا المنصب، مثل الحاجب السليماني، ومراسم تعيينهم والخلع عليهم (ابن البناء، 1965)، وتطرّق كذلك إلى منصب عميد بغداد (ابن البناء، 1965).

وفي المجال الاقتصادي أورد أخبارًا تتعلق بالملكيات، وبعض من يمتلكون مساحات واسعة من الأراضي (ابن البناء، 1965)، وأثر ارتفاع منسوب المياه ي البيوت وتعطّل الطرق والعامة (ابن البناء، 1965).

كما أورد معلومات عن وفيات الحنابلة وأماكن دفنهم (ابن البناء، 1965)، وبعض الرؤى والمنامات التي لا تخلو من الجوّ الأسطوري (ابن البناء، 1965). إضافة إلى وجود نسخة من كتاب مناصحة للخليفة العباسي يعكس ما آلت إليه الأوضاع من ازدياد المظالم، وكثرة الشكاوى، والتعدي على حقوق الناس، وإخفاء الموظفين للحقائق، والشكاوى، وإقصاء العلماء وأهل النصح والتقوى، وملاحقة الناس في أملاكهم وأعراضهم (ابن البناء، 1965).

أما النصوص الأخرى التي وردت في بعض المصادر اللاحقة على تاريخ ابن البناء، فهي:

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (ت597هـ/1200م)، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار (ت643هـ/1245م)، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (ت 795هـ/1392م)، وقد بلغ عدد النصوص أحد عشر نصًّا، كانت في أغلبها صغيرة تتناول ميلاد أحد العلماء، أو شيوخ الحنابلة، ورفاقه، وسبب الوفاة أحيانًا، والتعريف ببعض الشخصيات وتزكيتها، وهناك نصان طويلان نسبّياً قياساً إلى النصوص سالفة الذكر تناول الأول: مسألة إخراج الاعتقاد القادري، وقراءاته سنة 460هـ/1067م، والآخر وصية الشريف أبي جعفر إلى الشيخ أبي عبدالله بن جردة (ت476هـ/1083م)، وذكر فيه مذهبه، وأوصى ألا يُقام له عزاء ولا يُشق عليه جيب، ولا يُلطم خد، وذكر وفاته (ابن الجوزي، 1992).

الرقم	الخبر	السنة التي أرخ بها الخبر	المصدر
1–	وفاة أبي الحسن علي بن الحسن بن احمد	الثالث عشر من رجب سنة 424هـ	ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج3، ص172.
2–	ولادة أبي القاسم عُبيد بن محمد بن الحسين بن الفراء	الثامن من شعبان 443هـ	ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج2، ص82.
3–	ولادة أبي الحسين عبدالملك بن رضوان	الثاني عشر من رجب سنة 444هـ	ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج1، ص38.
4–	وفاة الزجّاج	النصف من جمادى الآخر سنة 463هـ	ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج1، ص240.
5–	وفاة ابن الفضل الكاتب	سبع بقين من ربيع الأول سنة 465هـ	ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد ج3، ص192.
6–	وفاة الأعلم الناسخ الحنبلي علي بن الحسين	صَفر سنة 461هـ	ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج3، ص221.

7-	عبدالله بن توبة العكبري (ت461هـ/1068م)		ابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة، ج1، ص10.
8-	وفاة عبدالله البرداني الزاهد الحنبلي	السادس من ربيع الأول سنة 461هـ	ابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة، ج1، ص10.
9-	إخراج الاعتقاد القادري وقراءته بسبب عزم ابن الوليد المعتزلي على التدريس	النصف من جمادى، سنة 460هـ.	ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص196-197.
10-	وصية الشريف أبي عبدالله بن جردة(ت470هـ/ 1077م)		ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص196-197.

يتبيّن عند النظر في هذه النصوص أنّ الحظ الأوفر منها ورد في كتاب ذيل تاريخ بغداد لابن النجار؛ حيث حفظ لنا ستة نصوص، تناولت وفاة أحد الحنابلة، أو ميلاده، وتساوى ابن الجوزي، الذي حفظ لنا نصّين في كتابه المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تناول أولهما: مسألة إخراج الاعتقاد القادري سنة 460هـ/1067م، وثانيهما وصية الشريف أبي جعفر، مع ابن رجب الحنبلي الذي حفظ لنا نصّين: تناول أولهما: تعريفاً بأحد أُدباء الحنابلة، وهو عبدالله بن توبة العكبري، بينما تناول ثانيهما: وفاة الناسخ الحنبلي علي بن الحسين، وكلاهما سنة (461هـ/1068م).

موقف ابن البناء من الخلافة العباسية:

يرتبط موقف ابن البناء من الخلافة العباسية، بموقف الحنابلة المستند إلى رأي الإمام المؤسس أحمد بن حنبل (ت241هـ/855م)، بضرورة السمع والطاعة للخليفة القائم، وعدم جواز الخروج عليه، بصرف النظر عن عدله أو جوره، أو صلاحه، أو فساده (ابن الجوزي، 1977، طلفاح، 2008)، ويرتبط كذلك بمعاصرة ابن البناء لتحالف الخلافة مع المذاهب الفقهية السنية الأربعة، الحنابلي، الحنفي، المالكي، الشافعي، التي تبنتها الدولة العباسية؛ لتكون جزءاً من منظومة فقه الدولة في محاولتها لاستعادة نفوذها المفقود لصالح البويهيين، منذ عهد الخليفة القادر (371-422هـ/991-1030م)، الذي اتجه للتحالف مع الفقهاء والعلماء السُّنة الداعمين للخلافة العباسية في ظل تزايد الخطر الشيعي وتعاظمه، ويمكن الاستدلال على التحالف العضوي بين الخلافة العباسية والحنابلة، ممّا قاله أحد فقهاء الحنابلة؛ أحمد بن سهل المعروف بابن البقال (ت440هـ/1048م) حيث قال: ((... والخلافة بيضة والحنبليون أحضانها... والخلافة خيمة والحنبليون أطنابها، ولئن سقطت الطُنب لتهوين الخيمة)) (طلفاح، 2008).

وهي مقولة تكشف إدراك الحنابلة لدورهم في مساندة الخلافة ودعمها في وجه السيطرة البويهية. وقد ظهر موقف ابن البناء من الخلافة العباسية من خلال ما أورده في كتابه التاريخ، في سياق تناوله أخبارها المختلفة؛ حيث يقول في معرض حديثه عن الخليفة: ((... فلما كان يوم الاثنين، استدعوا إلى الديوان، وأُستدعي النقيب، وكان هناك قاضي القضاة، وخرج من السلطان-أطال الله مدته- ما تُجمّل بهِ الجماعة والمذهب)) (ابن البناء، 1965)، فقد ذكر ابن البناء، ديوان الخليفة وهو أحد مظاهر الإدارة العباسية، ودعا للخليفة بطول البقاء، كما قام أيضًا بذكر الأخبار المتعلقة بالخليفة، إذ يقول: ((... وفي هذه الأيام، ذُكِرَ أن الخليفة أنفذ برسول قاصد إلى الزعيم ابن عبدالرحيم ليدخل بوزارته)) (ابن البناء، 1965)، وفي سياق اهتمامه برصد الأخبار المتعلقة بالخليفة وتناولها، نجده يهتم بذكر وفاة جارية الخليفة؛ حيث يقول: ((وماتت قطر الندى، جارية الخليفة -رحمها الله- في يوم الثلاثاء لست بقين منه)) (ابن البناء، 1965)، وقوله كذلك: ((وفي يوم الأحد التاسع عشر من ربيع الآخر، ضُرِبت البوقات والدبادب، فسألت عن ذلك، فقيل لي: خلع السلطان- أعز الله نصره- على الأمير رجب)) (ابن البناء، 1965)، وقوله كذلك في معرض إيراده لكتاب مناصحة الخليفة: ((... أدام الله دولته، وخلّد ملكه... وإنني، والله يا أمير المؤمنين لمستوٍ ناصح، أُكثِر الدعاءَ سرًّا وجهرًا لإطالة بقاء هذه الدولة المقدسة النبوية، الإمامية، القائمية، - خلّد الله ملكها - وأُنادي بشعارها في البلاد، وعلى رؤوس الأشهاد، منذ نيف وخمسين سنة، وقد شاهدت ما كان، وما صرفه الحق تعالى عنها بحسن معتقدها، وبركة أخلاقها، ويمن دعواتها، فأراها الله الأبرار، وحسن الاختيار، وأعانها على مصالح العباد والبلاد)) (ابن البناء، 1965).

يُلحظ مما ورد سابقًا، حرص ابن البناء على تناول الألفاظ والأدعية الدالة على مكانة الخلافة ومدحها، والإشادة بها؛ لإضفاء القدسية على حكمها، وصبغها بصبغة الديمومة والخلود، والإقرار بولي عهده والاعتراف به؛ حيث يقول: ((... ونرغب إلى الله الكريم في إطالة بقاء سيدنا ومولانا؛ الإمام

القائم بأمر الله أمير المؤمنين أدام الله أيامه، وخلّد ملكه، وأعانه على مصالح الدين ومعونة المستورين وقمع الظالمين، وأجاب فيه وفي مولانا؛ الأمير السيد الأجلّ المؤيد المقتدي عدة الدين، وعمدة الإسلام والمسلمين، صالح دعوات الداعين وابتهالات المبتهلين، بجوده وكرمه إن شاء الله)) (ابن البناء، 1965).

كما قدّم وصفًا للاحتفال بقدوم ولي عهد الخليفة؛ حيث يقول: ((... وفي آخر يوم الأربعاء الرابع منه، ضُربت البوقات والدبادب لمولود وِلِدَ لعدة الدين، وعمدة الإسلام والمسلمين، ورُفعت من الغد البشارات والصلات، وزُينت الأسواق في جانبي بغداد، وأرجو أن يكون مباركًا عليه وعلى المسلمين)) (ابن البناء، 1965).

وأنشد أبياتًا من الشعر احتفاءً بقدوم ولي العهد؛ حيث قال:

بشارة وافت بذا المولود تقمع للعدو والحسود يا دولة تشرق بالسعود

لا زلتِ في البقاء والسعودِ رغمًا لقومٍ رجسٍ جحودٍ بشّر بهذا الطائر المسعودِ

كسائر العسكرِ والجنودِ كونوا مع الوفاءِ بالعهودِ والصدقِ في الأقوالِ والوعودِ

راياتكم تشرقُ بالبنودِ والرجل والخيل بلا عنودِ دمتم بعزّ العسكر المحشودِ

من العلى بالطائر المحمودِ يا معشر القرّاء والشهودِ ولعنة الله على اليهودِ (ابن البناء، 1965).

ورصد موقف الخليفة وابتهاجه بقدوم المولود؛ حيث قال: ((... وبلغني أن الخليفة كان قد سُرّ بذلك، وأنّه حين الولادة برّك على رأس والدته تاج من ذهب مرصع بالحب واللؤلؤ، والله اختار له الآخرة)) (ابن البناء، 1965).

كما امتدح بعض موظفي الخلافة، ويظهر ذلك في قوله: ((... قاضي القضاة – أحسن الله عن الدين جزاءه–))(ابن البناء، 1965).

وفي موضع آخر يقول: ((... وهذا جميل منه، والله يشكر له ذلك)) (ابن البناء، 1965).

موقف ابن البناء من السلطنة السلجوقية

يكتسب موقف ابن البناء من السلطنة السلجوقية أهمية بالغة نابعة من الفترة الزمنية التي عاشها، والممتدة من (391–479هـ/1000–1086م) التي استطاع في أثنائها أن يكون شاهد عيان على خروج البويهيين من مسرح الحياة السياسية والمُلك، ودخول السلاجقة كقوة سنية أصبحت الأبرز على الساحة آنذاك، مع الأخذ بالحسبان حرص الحنابلة على دعم الخلافة لتأخذ دورها أمام القوى المسيطرة؛ حيث أُتيحت له الفرصة أن يطّلع عن كثب على الطريقة التي انتهجها السلاجقة، في التعامل مع الخلافة العباسية وإدارة العراق، وسيظهر موقف ابن البناء من السلطنة السلجوقية من خلال طريقة تناوله لأخبارها، والمواضع التي اهتم بها.

في هذا السياق يُلحظ في معرض حديثه عن السلطان ألب أرسلان أنه يذكره بلقب (ملك)؛ حيث يقول: ((... وفي يوم السبت السادس والعشرين منه، أخبرني أبو طاهر بن الشيخ الأجلّ أبي عبدالله بن جردة، أنّ الكتب وردت إليه بأن الملك الب أرسلان بعد عيد الأضحى سائرٌ إلى بغداد، وأنه يتقدّمه الشيخ بُزرك، وأنّه على أحسن نيّة في مصالح المسلمين– والله يعينه–)) (ابن البناء، 1965).

وعليه فقد ذكر ابن البناء السلطان ألب أرسلان بلقب (ملك)، وهي إشارة إلى السلطة السياسية التي يمارسها السلطان السلجوقي بعد أن سُلخت عنه الخلافة، وأصبح منصب الخليفة مقتصرًا على سلطة دينية لا تتمتع بأي نفوذ أو صلاحيات ذات شان أو أهمية، وقد تعمّق هذا الفصل في أثناء سيطرة البويهيين على مقاليد الحكم والسلطة في الدولة العباسية، حتى أن البيروني (ت440هـ/1048م) وصف الحالة التي أضحت عليها الخلافة العباسية، قائلاً:(إنّ الدولة والمُلك قد انتقل في آخر أيام المتقي وأول أيام المستكفي من آل العباس إلى آل بويه، الذي بقي في أيدي العباسية إنما هو أمر ديني اعتقادي لا ملكي دنياوي، كمثل ما لرأس الجالوت عند اليهود من أمر الرئاسة الدينية من غير ملك ولا دولة، فالقائم من ولد العباس الآن إنما هو رئيس الإسلام، .... لا مَلك))(البيروني، (د.ت)، طلفاح، 2008)، كذلك أطلق ابن البناء لقب (سلطان)، على الخليفة في بعض مواضع حديثه؛ حيث قال: ((... فلما كان يوم الاثنين استدعوا إلى الديوان، وأُستدعي النقيب، وكان هناك قاضي القضاة، وخرج من السلطان– أطال الله بقاءه – ما تجمّل به الجماعة والمذهب) (ابن البناء، 1965)، وفي مواضع أخرى يذكر ألب أرسلان مجرّدًا

من غير لقب، كقوله: ((... قد أنفذنا الرسل إلى ألب أرسلان، وإشعاره بالقصة)) (ابن البناء، 1965).

وتحدث عن وجود عملة للسلاجقة؛ حيث قال: (... وأخرج الصدقات الكثيرة، وذبح البقر، وفرّق الثياب والجِباب، والدراهم الغزية)) (ابن البناء، 1965)، وتناول بعض مظاهر الإدارة السلجوقية في بغداد، حيث نجده يتحدث عن منصب الشِحنة، الذي أوجده السلاجقة في بغداد قائلاً: (... ودخلنا إلى الشريف ابن سكرة، وكان قد التمس رقعة تكتب إلى الحاجب السليماني، وكان قد راسله يسأله الدعاء) (ابن البناء، 1965)، وقوله

أيضًا: ((... وفي يوم الاثنين التاسع عشر منه دخل الحاجب السليماني، وبلغني أنه قتل ثلاثة أنفس الذين قتلوا الناس بجامع المنصور)) (ابن البناء، 1965)، وقوله أيضًا: ((... ودخل العميد الجديد، في آخر هذا الشهر، ورأيت جماعة يصفونه بالعقل والسداد)) (ابن البناء، 1965)، وأورد خبرًا يظهر فيه التجاوزات التي ارتكبها عميد العراق، وموقف الخليفة منها، الذي بادر بإرسال كتاب إلى العميد يطلب فيه التوقف عن هذه التجاوزات؛ حيث يقول: ((... وخرج من السلطان– أعز الله نصره – توقيع حسن في معنى المسلمين، وكفّه عمّا كان يطالبهم به من أجرة الدور للسنين الماضية وغير ذلك من المحاولات) (ابن البناء، 1965).

يتبين بعد تناول الأخبار التي أوردها ابن البناء عن السلاجقة، قلتها، واقتصارها على السلطان ألب أرسلان – وهذا قد يكون مرتبطًا بالجزء المتوفر من الكتاب– وذكر بعض مظاهر الإدارة السلجوقية من خلال الإشارة إلى منصب الشِحنة والعميد.

موارد ابن البناء في كتابه في التاريخ

تبدو مسألة مناقشة وتبيان موارد ابن البناء في ظل فقدان الجزء الأكبر من كتابه محفوفة بالحذر؛ فالحصول على فكرة كاملة عن موارده يتطلب وجود الكتاب كاملاً، أو وجود الجزء الأكبر منه. وعليه، فسيجتهد الباحث في تبيان موارده من خلال المتوفّر منه؛ إذ يظهر لنا أنّ موارده قد توزعت بين المشاهدة الشخصية للأحداث الواقعة في بغداد، ومشاركته فيها، كقوله: ((وفي يوم الجمعة، لستٍّ بقين من شوال، دُفِنَ جميلة العجّان بقبر أحمد، وَصَلَّيْتُ عليه في الرواق بجامع المنصور، وحضره جماعة، وكان هذا الرجل قد بلغ سبعين سنة، وله مقامات مشهودة في المذهب مع المخالفين..)) (ابن البناء، 1965)، وقوله: ((وكانت عزاء لصاحبنا أبي الحسن البرداني بأخته، وحضر إليه الجماعة، وعُدْتُ إليهِ في يوم الجمعة، التاسع والعشرين من المحرّم، متعرفًا لأخباره، وكيف حاله بعد المصاب بها؟ وقيل بأنّ لها ثمانين سنة، منها أربعون سنة صائمة، قائمة الفعل– رحمها الله)(ابن البناء، 1965)، وقوله: ((وجاء هذا اليوم ريحٌ شديدة، ومطرت بعقب ذلك، والله يُعظّم لنا الثواب في أنفسنا، وفي جماعة الأصحاب.) (ابن البناء، 1965)، وقوله: (وفي يوم الأحد لثمانٍ خلونَ منهُ، خرج جماعة من الأولياء يستقبلون ابن جهير الوزير؛ لدخوله إلى البلد، وقد كانوا فسّروا عليّ منامًا رأوه له بعد أيام من نكسته، وفسرّتهُ بأنهُ ربما يعود إلى ما كان فيه، فدُهِشوا من ذلك، وبقي المعنى للرؤيا نتوقعها إلى أن وافقني ووافقته، حتى سمع بردهِ، فقال: صدق النبي– عليه السلام– الرؤيا جُزءٌ من ستة وأربعين جُزءًا من النبوة)) (ابن البناء، 1965)، وقوله: (وماتت بنت أخي أبي طاهر بن النرسي، – رحمها الله– في ليلة السبت، الثالث عشر منه، ومضيتُ معها إلى قبر احمد، وصليتُ على قبر الآمدي– رحمه الله– وزرنا الجماعة)) (ابن البناء، 1965)، وقوله: ((وفي يوم الجمعة، صليّنا في جامع الخليفة، والشريف وأصحابنا، وكان جامع المدينة خالياً من الفقهاء، وهذه مصيبة عامّة)) (ابن البناء، 1965).

أما المصدر الآخر الذي استقى ابن البناء منه معلوماته فهو حصوله على بعض المعلومات من الرواة الذين أسمائهم، قائلاً إنهم زوّدوه ببعض الأخبار والروايات، كقولهِ: ((وأخبرني الحاجب ناصر في هذا اليوم، وقد قدم مع الحاجب من الكوفة، بأنه فتح قلعة لطيف هناك، وينتظر رجب للصلح)) (ابن البناء، 1965)، وقوله: (وفي يوم الأحد، السابع والعشرين منه، أخبرني الشيخ أبو سعد بن الكوان القارئ، بأن أولاد الشيخ الأجلّ قد تقرر لهم يقبضون سبعة آلاف دينار هذا الأسبوع، مع الشيخ أبي القاسم؛ لأنها كانت عشرة آلاف غير عشرين ألفًا قبضوها، فاستوهب منهم ثلاثة آلاف، وجعل الغلة للأخت والله يصلح حال الجميع، ويرحم دار السيد الماضي، ويبقى بركاته عليهم)) (ابن البناء، 1965)، وقوله: ((وقدم الحاج النهرواني في هذه الأيام، وأخبرنا بحج الناس وسلامتهم، وقال لي بان كريمة، التي تُحدّثُ بصحيح البخاري في الحياة)) (ابن البناء، 1965).

كما وُفِّق في سرد أخباره من خلال بعض الوثائق التي استطاع الحصول عليها، كقوله: ((وورد الخبر في يوم الخميس إلى دار الشيخ الأجلّ ابن جردة، في بعض كتب من التجّار، بأنه حدث بفلسطين زلزلة عظيمة في الرابع والعشرين من رجب في هذه السنة)) (ابن البناء، 1965)

منهج ابن البناء في كتابه

استخدم ابن البناء طريقة الحوليات منهجاً سار عليه في ترتيب الأحداث والروايات التي ضمّنها كتابه، استناداً إلى الموجود بين أيدينا منه، ورتب الأحداث داخل السنوات بناءً على الأشهر، وبيّن اليوم بالنسبة إلى الشهر، كما بيّن اسم اليوم من الأسبوع، ودليل ذلك قوله: ((مستهل المحرّم، سنة إحدى وستين، يوم الجمعة، عرفنا الله بركته)) (ابن البناء، 1965).

وقوله: ((وفي يوم الأحد، النصف من شوال، قَدِمَ القاضي الذي كان قد خرج إلى الملك ألب أرسلان، وجاء إلى دار الأجلّ ابن جردة)) (ابن البناء، 1965)، وقوله: ((وورد الخبر

بأن في اليوم، يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الأولى، حدثت بمدينة النبي– صلى الله عليه وسلم– زلزلة عظيمة)) (ابن البناء، 1965).

وكان تدوينه للأخبار يومًا بيوم حسب الشهر، فإذا لم يكن في اليوم خبر مما يعتني به، تجاوزه إلى اليوم التالي، وذلك من مثل قوله: ((ورأيتُ في ليلة الأحد، السابع عشر منه...)) (ابن البناء، 1965)، ثم قوله: ((وفي يوم الثلاثاء، التاسع عشر منه)) (ابن البناء، 1965)، من غير أن يذكر اليوم الثامن عشر.

وكان فيما يظهر يدوّن أخباره حسب ما تصله من معلومات، فإذا تجاوز يوماً من الشهر من غير أن يسجل أخباراً ثم جاءه بعد ذلك بخبر في ذلك اليوم، دوّنه بعد آخر يوم دوّن به أحداث ذلك الشهر، ودليل ذلك قوله:((في مستهل المحرّم سنة إحدى وستين)) (ابن البناء، 1965)، ثم قال: ((وكان في يوم السبت السادس عشر منه)) (ابن البناء، 1965)، ثم قال بعده: ((وفي يوم الخميس، الرابع عشر منه)) (ابن البناء، 1965).

واهتم بذكر وفيات كبار علماء الحنابلة، وأماكن دفنهم، وبيان سنوات ميلادهم أحيانًا، وتزكيتهم والثناء عليهم والإشادة؛ بهم كقوله: ((ومات أبو طاهر صهر هبة الله المقرئ– رحمه الله تعالى– وكان بالنصّرية، ينزل في ليلة الجمعة، ودُفِنَ يوم الجمعة، لعشرين بقين من صفر، وكان مولده في صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وكان عمره ثمانين سنة. وكان من خيار عباد الله نسكًا، وصلاحًا، واعتقادًا صحيحًا حنبليًا، وله ولد يعيش على المذهب..)) (ابن البناء، 1965).

وقوله أيضاً: (وفي يوم السبت، سحره، مات عبدالله البرداني الزاهد، الوليّ، التقيّ، الحنبلي، الذي أُجمعَ عليه في عصره ودهره، وتولاه شريفنا، وكُنيّ خليفتنا، أبو جعفر بن أبي موسى – حفظ الله محاسنه– في الغسل، والصلاة، والدفن، وصلى عليه بجامع المنصور. وكان خلقًا عظيمًا، سمعت من حرّرهم بمائة ألف، وشيّعه الخلق، والأكابر، والأصاغر، والرؤساء، وأبناء الدين والدنيا.... وكنت قد آثرت دفنه في قطعة لي بقبر أحمد، وقلت لابن عربية ذلك، وأشرت به إلى حين الدخلة الأخيرة عليه، ولم يقضِ ذلك، بل عيّن هو لنفسهِ موضعًا، ولكن الله سهّل أن ذلك الموضع بقرب قطعتي ففرحت بذلك..)) (ابن البناء، 1965).

كما اهتم ابن البناء ببيان سبب وقوع بعض الحوادث والفتن، كقوله: (وفي يوم الثلاثاء، التاسع عشر منه، كان أملاك في باب المراتب عظيم، وحضره خلق، لأن العيّار زوج ابنته إلى بعض رجال النيل، وخطب فيه الشريف أبو جعفر بن المهتدي بالله بخطبتي النونية: ((الحمد لله الذي حقق الظنون))، وفي كلّ فصل منها آية من كتاب الله تعالى، استحسنها الجماعة، وكان يوماً مشهوداً) (ابن البناء، 1965).

واهتم بذكر أسماء بعض المواليد، والوفيات، والمشاهير، والأصدقاء، كقولهِ: ((وفي يوم الأحد، الثامن والعشرين منه، ولِدَ للشريف أبي الغنائم ابن ذكر، وسماه مسعود، وكناه أبا منصور– خيّره الله –))(ابن البناء، 1965).

وقوله: ((وماتت قطر الندى، جارية الخليفة– رحمها الله– في يوم الثلاثاء، لِستٍّ بقين منه)) (ابن البناء، 1965).

كما يُلحظ لدى ابن البناء بعض الإشارات التي تتناول ظروف المُناخ، وتأثيرها في انتقال الأفراد، وحرية الحركة، كقوله: ((وفي يوم الجمعة كانت الريح قوية، ولم يمكن العبور)) (ابن البناء، 1965).

وقوله: ((وفي هذا اليوم، كثُرَت زيادة الماء، وقيل: بأنه بلغ نحو عشرين ذراعًا، وتهدّمت دور الشطوط والحانات، وانقطع طريق باب الأزج، وأمسى الناس على صورة مرعبة من ذلك، والله يكفي بلطفه وكرمه)) (ابن البناء، 1965).

وأورد أخبارًا عن مراسم تعيين من وقع عليهم الاختيار لشغل مواقع إدارية، سواء لدى الخليفة العباسي، أو لدى السلطان السلجوقي، كقولهِ: ((وعاد الوزير ابن جهير في يوم الأربعاء، الحادي عشر منه، إلى حضرة الخلافة، وكان يومًا مشهودًا، تلقاه العسكر، والحواشي، والأماثل، وضُرِبت خيمة بالنجم، وعبرت السفن الخيطيات والزبازب إليه، وركب ومضى إلى الحلبة، على ما قيل، ومعه العسكر)) (ابن البناء، 1965).

كما صحّح بعض الأخبار التي سبق وأن كذّبها كقوله: ((وفي هذا اليوم ورد الخبر بأن ابن الصياد؛ زوج بنت ابن السنّي، ظهرت عليه عملة بالبصرة، فقُطِعت يدهُ ورجلهُ، وغمني ذلك، والله يتولىّ بالستر لشبان المسلمين، ولجميع المؤمنين، ويعيذنا من طوارق السوء، فما كان يظهر لنا منه إلا الجميل، واستخدمه الأجلّ ابن جردة، وأنفذ معه أشياء، والزمان لا يؤمن معه الامتنان. ولم يصحّ هذا الخبر، وعاد الرجل في عافية، وكان قد سمع اسم على اسم)) (ابن البناء، 1965).

كذلك سجّل بعض الأحداث اليومية، التي شاهدها في بغداد وأحيائها، أو التي نُقلت إليهِ أخبارها، كقولهِ: ((وفي يوم الخميس، النصف من جمادى الأولى، حضر الشهود والجماعة، واملكوا في دار الأجلّ ابن رضوان لعليّ أفراش صاحبهم)) (ابن البناء، 1965)، وقوله: ((وفي يوم السبت، السابع عشر منه، مضيت إلى دار الشريفين ابن أبي موسى، وابن سكّرة بعد العصر. ورأيت القافلة قد تقدمت مع

الحاجب..)) (ابن البناء، 1965).

النطاق الزمني والجغرافي لكتاب (التاريخ) لابن البناء

إن عدم توفر النص الكامل لكتاب (التاريخ) يجعل مسألة تحديد نطاقه الزمني والجغرافي تنطوي على قدر كبير من الحذر؛ لأن الموجود من الكتاب لا يمكن الاعتماد عليه في تحديد الفترة الزمنية التي تناولها ابن البناء في كتابه، ولكن ما يساعدنا في هذا الأمر هو تتبع النصوص المنقولة عن الكتاب، التي يمكن الاطلاع عليها، وأظهرت أنه قد أرّخ لسنوات ابتدأت من 424هـ/1032م (ابن النجار، 1991)، استناداً إلى أقدم نص نُقِلَ عنه تم رصده، ولعل هذا الاستنتاج هو الذي دفع إلى ربط الموجود من كتاب ابن البناء والمفقود منه مع النطاق الزمني والجغرافي بِعَدَّ النصوص المنقولة عنه، التي وردت عند ابن الجوزي في كتابه (المنتظم)، وابن رجب الحنبلي في كتابه (ذيل طبقات الحنابلة)، وابن النجار في كتابه (ذيل تاريخ بغداد)، تكشف أقدم نص نُقل عنه، استُنِدَ عليه في بيان النطاق الزمني لكتابه التاريخ، الذي بناء عليه يمكن القول إنه يغطي الفترة من 424هـ/1032م، إلى قُبيل وفاته؛ أي سنة 470هـ/1077م وعليه، فقد استندَ الباحث في ترجيح استمرار ابن البناء في الكتابة إلى قُبيل وفاته على الرواية التي أوردها ابن الجوزي للشريف أبي جعفر المتوفى سنة 470هـ/1077م (ابن الجوزي، 1992).

أما النطاق الجغرافي لكتابه، فإن الذي تم الاطلاع عليه سواء أكان من النص الذي حققه جورج مقدسي، أم النقول المتناثرة عنه في المصادر المختلفة يبين أنه قد اقتصر كتابه على بغداد؛ حيث موطنه ونشأته، وإذا اضطر للخروج عنها فإن هذا الخروج من باب ربط الأحداث التي يتناولها واستكمالاً للحديث عنها، مثل حديثه عن مناطق همذان، وفلسطين، والرملة (ابن البناء)، وبيت المقدس (ابن البناء)، ووادي الصفا والمروة، وخيبر، ووادي القرى، وتيماء، وتبوك، وأيلة الشام، والحجاز. (ابن البناء، 1965)، وبناء على هذا يمكن القول أن كتاب التاريخ لابن البناء، يصنف من التواريخ المحلية الخاصة بمنطقة جغرافية محددة، هي بغداد التي تناول أحياءها ومحلاتها بالتفصيل والتحديد، مثل الجانب الغربي، ودجلة (ابن البناء، 1965)، وجامع المنصور (ابن البناء، 1965)، وجامع الرصافة (ابن البناء، 1965)، وحلّة ابن مزيد (ابن البناء، 1965)، وقبر أحمد بن حنبل (ابن البناء، 1965).

والناظر فيما أورده ابن البناء في تاريخه من أخبار يجد أن جُلَّ اهتمامه كان بغداد، وهي محور حديثه، بِوَصْفِها مسرح الأحداث التي يتناولها في الكتاب.

نتائج الدراسة

يمثل كتاب (التاريخ) لابن البناء أحد المصادر المهمة لتاريخ بغداد في العهد السلجوقي. علماً أن توفر نصّه الكامل لو قُدّر ذلك سيفيد الباحثين أكثر في إماطة اللثام عن كثير من المعلومات المتعلقة بتاريخ بغداد في تلك المدة:

1. الّف ابن البناء كتابًا في التاريخ حمل عنوان (تاريخ ابن البناء)، استطاع جورج مقدسي العثور على جزء منه يتناول أحداث سنة (46– 461هـ/1067– 1068م)، فحقّقه وسمّاه (يوميات ابن البناء)، وقد استُند في ذلك على الروايات التي وردت عن تأليف ابن البناء لكتابه (التاريخ) في المصادر اللاحقة له، مثل ابن الجوزي في كتابه (المنتظم)، وابن النجّار في كتابه (ذيل تاريخ بغداد)، وابن رجب الحنبلي في كتابه (الذيل على طبقات الحنابلة).
2. ظهر نحوٍ واضح، اهتمام ابن البناء بأخبار الحنابلة، وتوثيق تاريخ ميلادهم وتواريخ وفياتهم، والإغراق في وصفهم بصفات الورع والزهد، استنادًا على رؤى وأحلام أوردها، على لسان بعض الحنابلة، خالطها الجو الأسطوري بنسبة كبيرة.
3. يُعَدّ كتابه من الكتب التي تقدم وجهة النظر الحنبلية تجاه الخلافة العباسية التي ساندها الحنبليون ووقفوا إلى جانبها، دون معاداة السلاجقة الذين أحكموا قبضتهم على مقاليد الحكم والسياسة في بغداد.
4. يتميز الكتاب بتأريخه لفترة مُبَكّرة من حكم السلاجقة، اعتماداً على المشاهدات الشخصية للمؤلف، ومشاركته في بعض الأحداث أحياناً.
5. استطاع ابن البناء أن يُقدّم تسجيلاً واقعياً لطبيعة سير الأحداث داخل بغداد من خلال وجوده فيها، ومشاركته في بعض الأحداث الواقعة، لكونها شاهد عيان سمحت له الظروف أن يكون في قلب الحدث.
6. استند في بعض أخباره، على مصدر جديد قد لا يتوفر لدى غيرهِ من المؤرخين في القرن الخامس الهجري، وهو كتب التجّار، التي استطاعت أن تمده، ببعض الروايات عن الأحداث ومجرياتها آنذاك.

قدّم في تاريخه بعض المعلومات، التي قد لا تتوفر عند غيره من المؤرخين، مثل موقف العامة من دخول السلطان ألب أرسلان بغداد بمعية جيشه، وكذلك موقف الحنابلة من الخلافة العباسية، الذي ظهر من خلال موقفه، وطريقة تناوله لأخبار الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

الأربلي، أ، (1980)، تاريخ إربل، تحقيق سامي الصفار، وزارة الثقافة، بغداد، ج1، ص271.

أوغلي، أ، (1984)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حوادث سنة (440- 490هـ/1048-1096م)، تحقيق قاسم يزبك، رسالة دكتوراه، جامعة القديس يوسف، بيروت، ج8، ص36.

بروكلمان، ك، (1983)، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية د. يعقوب بكر، راجع الترجمة، د. رمضان عبدالتواب، دار المعارف، ط2، ج6، ص63.

البغدادي، أ، (1982)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الفكر، بيروت، ج5، ص276.

البيروني، م، (د.ت)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق، إدوارد سخاو، دار صادر، بيروت، ص132.

ج18، ص242- 248، ج19، ص14- 431.

الجوزي، أ، (1977)، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ص175- 176.

الجوزي، أ، (1992)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الرشيد، ج16، ص105- 200.

الحموي، ي، (1999)، معجم الأدباء، تحقيق: د.عمر فاروق الطباع، دار ابن حزم، مؤسسة المعارف، ط1، بيروت، مجلد (2)، ص294، مجلد (3)، ص156، ج2، ص823.

الحنبلي، ع، (1951)، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: هنري لاووست، سامي الدهان، المعهد الفرنسي بدمشق، ط 1، ج1، ص10- 206.

الذهبي، م، (1992)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د. عبدالسلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، حوادث ووفيات 471-480هـ، ص39-41، حوادث ووفيات 521-531هـ، ص264.

الذهبي، م، (2011)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط2، مؤسسة الرسالة، ج18، ص380- 382.

الصفدي، ص، (1991). الوافي بالوفيات، اعتناء شكري فيصل، فرانز شتايز شتوتغارت، النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، دار النشر فرانز شتايز شتوتغارت، ط2، ج 11، ص 381-383، ج16، ص66، دار احياء التراث العربي، تحقيق أحمد الإرناؤوط وتركي مصطفى.

طلفاح، م، (2008)، دار الخلافة ودار المملكة دراسة في العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهية (334-447هـ/946-1055م) وأثرها في الفكر السني، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن- اربد، ص174.

عبدالله، أ، (1987)، بيان العيوب التي يحب أن يتجنبها القرّاء، وإيضاح الأدوات التي بُني عليها الاإقراء، تحقيق غانم قدوري أحمد، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، مجلد 31، ج1، ص6-58.

عبدالله، ب، (1990)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق، د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة الرشيد، الرياض، ج1، ص309-311.

العسقلاني، أ، (2002)، لسان الميزان، اعتنى بطباعته وإخراجه سلمان عبدالفتاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، ج3، ص27-28.

عقلة، ع، (2003)، رسائل أمين الدولة ابن الموصلايا، مركز زايد للتراث، ط1، ص23-107.

القسطنطيني، م، (1941)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين بالتقايا، مكتبة المثنى، بغداد، ج1، ص892.

القفطي، ج، (1950)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ط1، ج1، ص276.

محمد، ع، (1966)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج10، ص112.

مصطفى ش، (1979) التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، ج2، ص105.

النجار، م، (1997)، ذيل تاريخ بغداد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص15-240، ج2، ص82، ج3، ص128-221، ج4، ص110.

هبة الله، ك، (1988)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق، سهيل زكار، مطابع البعث، دمشق، ج، ص.

يعلى، أ، (1997)، م، طبقات الحنابلة، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ص208.

المراجع الأجنبية:

Abu Ali b. Al – Banna, Autograph Diary of an eleventh – century Historian of BAGHDAD, editing by George Makdisi, BuLietin oF the School of oriental and African studies, University of London,. X, III, 1965, P البناء، ا، اليوميات، ج19،.

Ibn Al-Bana al-Hassan bin Ahmed bin Abdullah (471A.H /1078A.D) and his book "The History"

Abded Al-Hadi Al-Ga'ydeh *

ABSTRACT

The study aims to identify a historian who lived during the Seljuk conquest of Iraq, focusing on: his first life, his family, and the importance of His book about the history of Baghdad during the Seljuk period. In addition to studying the available part of his lost book which has been mentioned in the contemporary sources, and the statement of his approach, and its resources.

Furthermore, it aims to understand his Attitude against the Abbasid and the Seljuk Empire through what is available from this book.

Keywords: Caliphate, Baghdad, Abbasid, Seljuks, History.

* Department of History, School of Art, The University of Jordan, Jordan. Received on 10/08/2016 and Accepted for Publication on 22/09/2016.